تطور الخطاب الإعلامي الفلسطيني من مرحلة المهادنة إلى مرحلة المواجهة مع الاحتلال الاسرائيلي "قبل وبعد العدوان على غزة ٢٠١٤"

إعداد

د. سعيد محمود شاهين

رئيس قسم الاعلام – جامعة الخليل –فلسطين

saedsh@hebron.edu

Said Mahmod Shaheen (Allani)

خلاصة البحث

تتناول الدراسة مواطن الخلل والقوة في الخطاب الإعلامي الفلسطيني قبل، أثناء، وبعد العدوان الأخير على غزة ٢٠١٤، والذي كان الأبشع والأطول من بين الحروب العدائية السابقة والدور الذي لعبة في التصدي للعدوان، وما ميزه عن الخطاب الذي ساد في الحروب العدائية السابقة التي شنت على غزة، كما يهدف البحث إلى إظهار مدى التناقض في الخطاب الإعلامي بين وسائل إعلام الضفة الغربية التي تقودها حركة فتح والإعلام الذي يصدر من قطاع غزة وتديره حركة حماس، بالإضافة إلى وسائل الإعلام التي تؤيد هذا الخطاب أو ذاك .

وبين البحث قدرة هذا الإعلام على المناورة والعمل في ظروف استثنائية ونجاحه في التغطية رغم الاستهداف من قبل الاحتلال للحيلولة دون تعريته أمام المجتمع الدولي ومستوى النجاح الذي حققه جراء ابتعاده عن العواطف والشعارات الكبيرة والعمل بموضوعية ومهنية زادت من مصداقيته . كما بينت الدراسة مستوى تأثير الانقسام في هذا الخطاب وانعكاساته السلبية . وخلصت الدراسة إلى ضرورة إيجاد رؤية إعلامية موحدة تجمع الكل الفلسطيني في بوتقة واحدة بعيدة عن التحيز لأي حزب سياسي وإعلاء المصلحة الوطنية والتمسك بالثوابت الفلسطينية رغم اختلاف البرامج السياسية النضالية وعدم جر الإعلام في الصراعات الحزبية من أجل مواجهة رواية الاحتلال الكاذبة والانتصار للشعب الفلسطيني.

كلمات مفتاحية: الخطاب الإعلامي، وسائل الإعلام، المناورة الإعلامية، التغطية الإعلامية، الرؤية الإعلامية.

Abstract

The study deals glitches and power in the Palestinian media discourse before during and after the recent aggression on Gaza in 2014, which was the most hideous and longer than between the previous hostile wars and the role they play in addressing the aggression and the feature of the speech that had prevailed in the previous aggressive wars launched on Gaza, also aims Search to show the extent of the inconsistency of media discourse between the media West Bank Fatah-led movement and the media that comes from the Gaza Strip and Hamas-run as well as the media, which supports this speech or that.

The research that the media's ability to maneuver and work in exceptional circumstances and success in coverage despite being targeted by the occupation forces to prevent stripped naked in front of the international community and the level of success achieved by the distance from the big emotions, logos and work objectively and professionally increased credibility. The study showed the effect of the level of division in this speech and negative implications. The study concluded that the need to find a media vision of a unified gather all Palestinians in one pot away from the bias to any political party, and to uphold the national interest and a resounding Palestinian Despite the different militant political programs and not to drag the media in the party struggles to cope with novel false occupation and victory for the Palestinian people.

Key words: media discourse, the media, the media maneuver, media coverage, media vision

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مع توقف المفاوضات بين الفلسطينيين وحكومة الاحتلال أواخر ابريل ٢٠١٤ والإعلان عن التوصل إلى اتفاق مصالحة بين الحركتين (فتح و حماس) المتخاصمتين بدأت تلوح في الأفق نذر المواجهة مع حكومة الاحتلال حتى لحظة اختطاف المستوطنين الثلاثة شمال الخليل عند مفرق عتصيون وما تبعها من تصعيد إسرائيلي وصولا إلى الشروع في العدوان على قطاع غزة مع بداية شهر تموز٢٠١٤، حيث لمسنا من خلال المتابعة شرخ في الخطاب الإعلامي الفلسطيني رغم فداحة العدوان .

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على تباين وتيرة الخطاب ومفرداته في تغطية العدوان الأخير على غزة، حيث يتناول المبحث الأول الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما قبل العدوان وسماته وأبرز أدواته ثم يناقش المبحث الثاني خصائص الخطاب الإعلامي إبان العدوان على غزة وظروف عمله في الضفة الغربية وقطاع غزة، في حين يتناول المبحث الثالث التغيرات التي رافقت هذا الخطاب مع إعلان الهدنة وتوقف العدوان، ويتضمن أهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الدراسة.

كان للإعلام المقاوم المتبني الخيار المسلح قدرة هائلة على حشد الجماهير مع تغطيته للفعل المقاوم ونقلة للبلاغات العسكرية وخصوصا مستوى التأثير الذي حظي به الناطق الإعلامي لكتائب الشهيد عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس "أبو عبيدة " عندما أعلن عن أسر الجندي الإسرائيلي شاؤول ارون عبر قناة الأقصى الفضائية والأثر المدوي الذي أحدثه لدى الجمهور الفلسطيني، والذي عجزت وسائل الإعلام الفلسطينية –على مدار أكثر من عقد عن تحقيقه– في حين شهد الإعلام المهادن عزوفا من قبل الجمهور الفلسطيني، و على الرغم من المحاولات المضنية لصناعة خطاب إعلامي يلبي احتياجات المرحلة (مرحلة المواجهة مع المحتل)، إلا أننا شهدنا إعلاما يتبنى الخطاب السياسي ل (م .ت .ف) والسلطة الفلسطينية المكبل باتفاقات أوسلو الملزمة للجانب الفلسطيني والمنعتق منها الاحتلال بحكم آلته العسكرية، ما أدى إلى تغير في طبيعة الخطاب الإعلامي اتجاه الصراع المحتدم بين الاحتلال وشعب اغتصبت أرضه وبات مشردا، وجزء آخر تبقى على مساحة من أرضه يعيش مضطهدا فيها نتيجة لاتفاقية يحكمها طرف واحد هو الأقوى، ويفرض شروطه في ظل وجود راعٍ منحاز للاحتلال، وظل

الخطاب الإعلامي في وسائل الإعلام الفلسطينية خجولا لا يقوى على تبني رؤية تجسد واقع احتلالي لم تغيره اتفاقات أوسلو ولا نظرة العرب والفلسطينيين لإمكانية التوصل إلى سلام يفضي إلى تسوية تقود إلى حل الصراع.

منهجية الدراسة

سيقوم البحث على استخدام اكثر من منهج لدراسة مشكلة البحث مستعينا بالمنهج التاريخي ،الوصفي ،المقارن ،تحليل المضمون ومنهج دراسة الحالة وهو المنهج الذي اصطلح علية العلماء بالمتكامل. وذلك للتعرف على التغيرات التي طرأت على مضامين الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما قبل وأثناء وبعد العدوان الأخير على غزة ٢٠١٤ من قبل بعض وسائل الإعلام الفلسطينية عبر تتبعه في غضون عام ٢٠١٤ من خلال التحليل لعدد من البرامج ونشرات الأخبار وحالة الاستنفار التي شهدتها عديد الوسائل الإعلامية وصولا إلى توظيف الكثير من المفردات التي كانت محظورة من باب تهمة التحريض التي تتنافى مع بنود اتفاقات أسلو وعملية السلام (وفق الرواية الإسرائيلية والراعي الأمريكي) وعدم المهنية في تناول طبيعة الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي بالإضافة إلى إلقاء الضوء على العوامل السياسية والإيديولوجية والجيوميديا التي تقف خلف انقسام هذا الخطاب .

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في أن الخطاب الإعلامي الفلسطيني تتفاوت وتيرتة بين ليلة وضحاها بناءا على متغيرات يفرضها الاحتلال من خلال التصعيد والعدوان رغم أن الاحتلال جاثم وسياسته هي ذاتها الرامية إلى سلب حق شعبنا في العودة وبناء الدولة والعيش بحرية وآمان واستقرار .

هذا الخطاب البرغماتي يذهب إلى حد أنة يصبح عاجز وغير قادر على حشد وتعبئة الجمهور الفلسطيني في مواجهة الاحتلال نتيجة تبنية خطابين في آن واحد :الأول يتبنى نهج المقاومة والثاني يتبنى خطابا معتدلا مرنا يؤمن بإمكانية حسم الصراع بالوسائل السلمية والتفاوضية مما يؤثر سلبا على المزاج العام للشعب الفلسطيني المحبط ،فتلمسه أحيانا يصعد من وتيرة ونبرته طبقا للخطاب السياسي المتمثل في برنامج منظمة التحرير الفلسطينية. ما يؤثر سلبا في الجمهور العربي والإسلامي لأنه يضيع ما بين تأييد هذه الرؤية أو

تلك ،فيغيب التأييد الذي تحظى به القضية الفلسطينية في خضم الصراع الدائر في دول الجوار العربي والإقليم.

الهيكلية المقترحة للبحث :

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة ،يتناول المبحث الأول الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما قبل العدوان وسماته وابرز أدواته ثم يناقش المبحث الثاني خصائص الخطاب الإعلامي إبان العدوان على غزة وظروف عملة في الضفة الغربية وقطاع غزة في حين يتناول المبحث الثالث التغيرات التي رافقت هذا الخطاب مع إعلان الهدنة وتوقف العدوان ويتضمن أهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الدراسة.

أسئلة الدراسة :

-هل سيعمل الخطاب الإعلامي السائد في وسائل الإعلام الفلسطينية على تعميق ألهوه في تحديد أولويات الشعب الفلسطيني بين خطابين مختلفين كل منهما يتبنى برنامجا مناقضا للآخر ؟

-هل سيؤدي استمرار هذا الخطاب إلى تعزيز حالة الانقسام الداخلي الفلسطيني مما سيساهم في استغلال إسرائيل لهذا الوضع واستمرارها في تهويد الأرض الفلسطينية والانفراد بكل فصيل على حدا وإضعاف الموقف الفلسطيني ؟

- هل سيؤدي استمرار هذا الخطاب إلى إقصاء قوى سياسية على الساحة الفلسطينية من خلال تبني الشعب الفلسطيني لخطاب فصيل على حساب فصيل آخر ؟

- ما مدى تأثير البرامج السياسية لحركتي فتح وحماس على الخطاب الإعلامي المتعلق بالصراع العربي الفلسطيني- الصهيوني الإسرائيلي لوسائل الإعلام في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في ظل غياب دراسات تتناول هذا الموضوع بحيادية ونظرة مستقلة ومتعمقة لموضوع بات يؤرق الباحثين والمهتمين في حقل الإعلام والنخب الثقافية والسياسية والأكاديمية في الوقت الراهن في ظل حالة من الضبابية والارتهان للقرار الإقليمي والدولي فيما يتعلق بحجم التأييد لنضال الشعب

الفلسطيني في مواجهة آلة البطش والغطرسة وفرض سياسة الأمر الواقع والتنكر لإمكانية قيام دولتين من قبل حكومة الاحتلال ،الأمر الذي يستدعي وجود خطاب إعلامي فلسطيني موحد يدوم ويتطور بما يتناسب مع حجم التضحيات التي يقدمها الشعب الفلسطيني الأعزل لا أن يعمل على شكل هبات تختفي باختفاء الحدث رغم استمرار العدوان بأشكال ومستويات مختلفة ، ما يستوجب مواجهته وفضحه والتصدي له من خلال الإبقاء على حالة الاستنفار والمواجهة حتى زوال الاحتلال.

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في :

١- التعرف على خصوصية الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما قبل العدوان ومفرداتة ومستوى تأثر الجمهورية.

٢- تبيان طبيعة الخطاب الإعلامي أثناء العدوان وقدرته على التأثير في الجماهير ومدى انسجامه مع طبيعة الحدث والتعبير عنة.

٣- توضيح العوامل التي تجعل من الخطاب الإعلامي خطابا موتورا إلى حد يجعله غير قادر على التعبير عن نبض الشارع وتطلعاته.

٤- إبراز دور الانقسام ومستويات التأثير في مفردات الخطاب وانعكاساته السلبية على مجمل العملية الإعلامية وسيرها .

٥- إظهار المتغيرات التي حدثت في محتويات الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما بعد توقف العدوان.

فرضيات الدراسة :

تقوم الدراسة على الفرضيات الآتية :

الفرضية الأولى : ان استمرار الخطاب الإعلامي على هذا النحو بوجود خطابين مختلفين تماما فيما يتعلق بالصراع مع المحتل يؤدي إلى تشتت الجمهور الفلسطيني وفقدان البوصلة.

الفرضية الثانية : استمرار هذا الخطاب يؤدي إلى تعميق الانقسام الداخلي الفلسطيني ويقود إلى استمرار إسرائيل في سياساتها الرامية إلى القضاء على حقوق الشعب الفلسطيني في العودة وبناء دولته على أرضه المغتصبة.

الفرضية الثالثة : جنوح غالبية الشعب الفلسطيني إلى احد الخطابين الأول المتمثل في برنامج م.ت.ف. (الذي تمثله القوى الوطنية) ، والثاني في برنامج القوى الإسلامية وبالتالي إقصاء تيارات سياسية بأكملها الأمر الذي يلحق اكبر الضرر بالقضية الفلسطينية ولحمة الشعب الفلسطيني ومبدأ التعددية .

الفرضية الرابعة : يوجد تأثير لبرنامج م.ت.ف. وبرنامج المقاومة الفلسطينية التي تؤمن بخيار الكفاح المسلح على الخطاب الإعلامي الذي تنهجه وسائل إعلام الضفة الغربية.

الدراسات السابقة :

تناولت الدراسة العديد من الدراسات السابقة في موضوع الخطاب الإعلامي أو تناولت جزء منها:

- دراسة امنة فتحي غنام "تغطية المواقع الالكترونية الفلسطينية للحرب على غزة" دراسة مقارنة لموقعي :فلسطين برس وفلسطين الان، ٢٠١١).
- دراسة اماني داود " اسلوبية الخطاب الاعلامي ،تقارير" الحرب على غزة " في قناة الجزيرة نموذجا" المجلة الاردنية في اللغة وادابها . عمان ٢٠١٢ م
- دراسة ماهيناز محسن " علاقة اساليب توظيف اللغة باطر تقديم الاحداث داخل التقارير الاخبارية : دراسة تطبيقية على الحرب الاسرائيلية على غزة " القاهرة ٢٠٠٩.
- دراسة الظاهر بصيص"الخطاب الصحفي الجزائري ازاء انتفاضة الاقصى:دراسة تحليلية مقارنة بين الصحف الحكومية والمستقلة من ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ وحتى ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٣ .القاهرة ٢٠٠٧ م.
- دراسة Mohammed mosheer Amer " The linguistics of representation "the New York Times,discourse on the second Palestinian intifada"PHD thesis.Australia-Melbourne,2008.
- دراسة " Melanie stawicki "framing the Israeli-Palestinian conflict: a study of frames used by three American newspapers"missouri2009.
- دراسة Mohammed Abu Ramadan,"aframing analysis of al-jazeeracoverage of the Palestinian fateh-hamas conflict"calefornia2009

مصطلحات الدراسة :

- **تلفزيون فلسطين**: قناة فلسطين الفضائية أوتلفزيون فلسطين هي قناة تلفزيونية فضائية رسمية فلسطينية، وهي جزء من هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية التابعة حالياً وبعد الانقسام الفلسطيني لحركة فتح في الضفة الغربية، أنشأت عام ١٩٩٤، ويرافق تلفزيون فلسطين محطة إذاعية هي صوت فلسطين التي أطلقت عام ١٩٩٥. بدأ البث التلفزيوني للقناة في عام ١٩٩٩ من قطاع غزة في فلسطين من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية بموجب إتفاقية أوسلو عام ١٩٩٤.
- **قناة الأقصى**: قناة فضائية فلسطينية تبث من غزة، وفرع من شبكة الأقصى الإعلامية، تابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وتعبر عن موقفها، وموقف المقاومة الفلسطينية. وقد احتلت قناة الأقصى نسبة مشاهدة كبيرة في أوساط العالم العربي والإسلامي وفي دول المغرب العربي بالخصوص. بدأت قناة الأقصى بإذاعة ثم بمرئية ثم بصوت الأقصى مباشر "إذاعة" وانتقلت إلى فضائية.
- **قناة القدس**: قناة فضائية فلسطينية تبث من بيروت على القمر الاصطناعي نايل سات وعرب سات، بدأت البث الرسمي الكامل في ١ نوفمبر ٢٠٠٨م، أسسها مجموعة من الشخصيات الفلسطينية والمقدسيين المغتربين في أوروبا ودول الخليج والدول العربية.

  وعن برامجها فهي شاملة منوعة تعطي خلالها مساحات جيدة للأخبار والبرامج السياسية والحوارية والاجتماعية، تركز على قضايا الشارع الفلسطيني تعتمد مبدأ السرعة في نقل الخبر الفلسطيني. وكانت القناة قد بدأت السبت (٢٠٠٨/ ١٥/ ٣)، بثها التجريبي.
- **وكالة وفا**: وكالة الأنباء الفلسطينية وتعرف اختصارا ب"وفا". وقد أنشأت في نيسان / ابريل عام ١٩٧٢ تطبيقاً للقرار الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاستثنائية المنعقدة في القاهرة. ثم صدر قرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإنشاء وكالة الأنباء الفلسطينية 'وفا'، بتاريخ ٥/ ٦/ ١٩٧٢، كهيئة مستقلة مرتبطة هيكلياً وسياسيا وإداريا برئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة، لتتولى مهمة التعبئة الإعلامية والتصدي مواجهة الدعاية المعادية ولتكون منبراً مستقلاً يتولى نقل الأحداث الوطنية بعيداً عن أي وصاية أو تبعية، وهذا القرار هو الإطار القانوني الذي يحكم عمل الوكالة حتى اليوم.

- **وكالة معا**: "وكالة معا" الإخبارية هي جزء امتمم "لشبكة معا"، وهي مؤسسة إعلامية غير ربحية تأسست عام ٢٠٠٢ بهدف تعزيز الإعلام المستقل في فلسطين، وإقامة علاقات بين وسائل الإعلام المحلية والإقليمية والدولية وكذلك تعزيز حرية الكلمة والتعددية في التغطية الإعلامية كعناصر محورية لتعزيز مفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- **المركز الفلسطيني للإعلام**: هو موقع إلكتروني إخباري، من المواقع الخمسين الأكثر زيارة في فلسطين حسب ترتيب أليكسا، إسلامي، وهو موقع غير رسمي لحركة حماس- ، لكن الشبكة لا تتبنى أي موقف حزبي.
- **جريدة الحياة الجديدة**: هي صحيفة يومية سياسية شاملة تصدر بفلسطين. أسسها نبيل عمرو وحافظ البرغوثي عام ١٩٩٥ وتولى إدارتها العامة. وهي تعتبر لسان حال السلطة الفلسطينية.
- **جريدة الأيام**: جريدة يومية سياسية فلسطينية، تصدر عن مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع- رام الله، ويرأس تحريرها السيد أكرم هنية.
- **جريدة القدس**: هي صحيفة يومية سياسية ناطقة بالعربية أسسها محمود أبو الزلف في القدس سنة ١٩٥١. تعد الأكثر توزيعاً في فلسطين حيث حصلت على نسبة ٤٣٪ من ثقة الجمهور الفلسطيني مقابل ٧٪ لصحيفة الحياة الجديدة التي جاءت في المرتبة الثانية.
- **هآرتس**: صحيفة إسرائيلية يسارية التوجه.
- **يديعوت أحرونوت**: صحيفة إسرائيلية خاصة يمينية التوجه.
- **إسرائيل هيوم**: صحيفة إسرائيلية مجانية تأسست في ٢٠١٢. أسسها رجل أعمال يميني التوجه.
- **مواقع التواصل الاجتماعي**: هي عبارة عن مواقع ويب تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية والرسائل الخاصة والبريد الإلكتروني والفيديو والتدوين ومشاركة الملفات وغيرها من الخدمات. ومن الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية قد أحدثت تغيّر كبير في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص والمجتمعات وتبادل المعلومات. وتلك الشبكات الاجتماعية تجمع الملايين من المستخدمين في الوقت الحالي وتنقسم تلك الشبكات الاجتماعية حسب الأغراض فهناك شبكات تجمع أصدقاء الدراسة وأخرى تجمع أصدقاء العمل بالإضافة لشبكات التدوينات المصغرة، ومن أشهر الشبكات الاجتماعية

الموجودة حالياً facebook وMySpace وtwitter ولايف بوون وهاي فايف وأوركت وgoogle+.

- **محمود عباس**: الرئيس الثالث للسلطة الوطنية الفلسطينية منذ ١٥ يناير ٢٠٠٥ ولا يزال في المنصب على الرغم من انتهاء ولايته دستورياً في ٩ يناير ٢٠٠٩. وكقائد لحركة فتح يعترف بوجود دولة إسرائيل وبأحقيتها في الوجود على الأرضي التي احتلتها قبل العام ١٩٦٧ ، ويشغل منصب رئيس اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية منذ ١١ نوفمبر ٢٠٠٤ بعد وفاة زعيمها ياسر عرفات. واستمر بمواصلة مهام الرئاسة على الرغم من انتهاء فترته الرئاسية في ٩ يناير ٢٠٠٩ وذلك بسبب ظروف الحرب على غزة.

وقد كان أول رئيس وزراء في السلطة الوطنية الفلسطينية حيث تولى رئاسة الوزراء جامعا معها وزارة الداخلية في الفترة ما بين مارس إلى أكتوبر ٢٠٠٣، حيث استقال بسبب خلافات بينه وبين رئيس السلطة ياسر عرفات حول الصلاحيات، وقد قاد قبل ذلك المفاوضات التي أبرمها الفلسطينيون مع نظرائهم الإسرائيليين.

- **أبو عبيدة** : هو لقب المتحدث الإعلامي الرسمي باسم كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، يعد من أوائل المطلوبين في قوائم الاغتيال الصهيونية نظراً لاعتباره الشريان الرئيسي للحرب النفسية والحرب الاعلامية التي تفرضها حماس.
- **نجاة أبو بكر**: عضو المجلس التشريعي الفلسطيني عن حركة فتح منذ ٢٠٠٦.
- **اسماعيل هنية**: رئيس وزراء السلطة الفلسطينية السابق، ونائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس. وكنيته "أبو العبد". ولد عام ١٩٦٣ في مخيم الشاطئ وشغل منصب رئيس وزراء فلسطين، بعد فوز حماس بأغلبية مطلقة في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني عام ٢٠٠٦، ثم أقاله رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس في ١٤ يونيو ٢٠٠٧ في خطوة مثار الجدل حولها، بعد أحداث الحسم العسكري في يونيو ٢٠٠٧، فصار يلقب من قبل أغلب أجهزة الإعلام والسلطة الوطنية الفلسطينية برئيس الحكومة المقالة القائمة بتصريف الأعمال حسب الدستور الفلسطيني، إلى أن يتم منح الحكومة التي كُلف بتشكيلها سلام فياض الثقة من المجلس التشريعي الفلسطيني.

- **ياسر عبد ربه**: هو سياسي فلسطيني يساري التوجه أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. يحمل لقبا ثانيا في الاقتصاد والعلوم السياسية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. تم فصله من منصب آمين سر اللجنة التنفيذية من قبل الرئيس محمود عباس عام ٢٠١٥.

المبحث الأول
الخطاب الإعلامي الفلسطيني ما قبل العدوان وسماته وأبرز أدواته

اتسم الخطاب الإعلامي الفلسطيني بالتركيز على الحرب الدبلوماسية التي تخوضها القيادة الفلسطينية، والتي مركزها مقر المقاطعة برام الله، وتقود الجهود المكثفة السياسية على الساحات الدولية وفي منابرها ومؤسساتها، ورغم تخلّي القيادة الفلسطينية منذ تولي الرئيس محمود عباس زمامها (منظمة وسلطة)، عن فكرة المقاومة كمكون أساسي لعقيدتها، وبات التفاوض وسيلة تطورت لتصبح استراتيجية بحد ذاتها، فالبديل من التفاوض.. التفاوض!![1]، وقد نجحت استراتيجية الرئيس عباس- إلى حد كبير- في تحقيق إنجازات سياسية إلى درجة وصف حكومة الاحتلال هذه الجهود بأنها معادية لإسرائيل وأحادية الجانب وترمي إلى عزلها ونزع الشرعية عنها، والتي توجت بانتزاع اعتراف دولي في الهيئة العامة للأمم المتحدة بالدولة الفلسطينية كعضو مراقب.

رافق الخطاب السياسي في معركة الاشتباك التفاوضي مع حكومة الاحتلال ثم انقطاعه كليا خطاب عكس طبيعة هذا الاشتباك، ولكنه لم يصل إلى درجة خروجه عما نصت عليه اتفاقات أوسلو، ولم يعد إلى مفردات ما قبل العقد الأخير من القرن الماضي التي رسمتها مقررات جلسات دورات المجلس الوطني الفلسطيني السابقة، حيث حددت فيها الثوابت التي لا يمكن أن تحيد عنها (م.ت.ف) .

رغم الالتزام شبة الكامل من قبل وسائل الإعلام في الضفة الغربية بخطاب عكس الخطاب السياسي لقيادة السلطة الوطنية، ممثلة بالرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي ابتعد عن لغة التحريض والشعارات التي اعتدنا عليها ضد المحتل، وحرص على الالتزام بخطاب مفرداته تسير بانسجام مع نهج العملية السلمية وموقف الرباعية، ويعكس النية الصادقة للقيادة الفلسطينية في سعيها الدءوب للوصول إلى تسوية للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي. وفي الوقت ذاته ونتيجة لحالة الانقسام الداخلي الفلسطيني كان

(١) محسن، أنيس. غزة معركة بحجم الحرب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٤، ص٤.

الخطاب متناقضا مع خطاب غزة المتمثل في خطاب حركة حماس وبرنامجها السياسي والنضالي الذي عكسته وسائل إعلامها المتعددة، وبالأخص قناة الأقصى الأكثر تشددا في خطابها والأكثر قربا لكتائب عز الدين القسام.

ساد مرحلة ما قبل العدوان خطابان فلسطينيان :الأول في الضفة الغربية (التي تديرها حركة فتح) وكان يميل إلى تحميل حماس مسؤولية أي تصعيد عسكري (عدوان جديد) على شعبنا في المحافظات الجنوبية (قطاع غزة) كون حركة حماس هي من تديره وتحكمه، وتعتبر من وجهة نظر حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية "حكومتها انقلابية" ، في حين اتهم خطاب وسائل إعلام حركة حماس سلطة رام الله – وفق تعابيرها – بالتواطؤ مع الاحتلال والتعاون معه أمنيا لتفكيك خلايا الحركة وملاحقة نشطائها آخذين بعين الاعتبار الصراع الدائر والخلاف المحتدم بين الحركتين على إدارة السلطة وقيادة الشعب الفلسطيني .

إن طبيعة الحالة الإعلامية التي سادت خلال سبع سنوات من الانقسام كان لها الأثر السلبي في التغطية الإعلامية للحرب الأخيرة بالنسبة لوسائل الإعلام المؤيدة والمحسوبة على حركة فتح والتابعة لها، لأنها عملت طوال هذه المدة على تشويه صورة حركة حماس ولعبت دوراً في تأجيج الكراهية ضدها والعكس تماما. وانشغلت هذه الوسائل في قدح حركة حماس بكل ما لديها من إمكانات، واحتلت مساحة التغطية للانقسام النسبة الأكبر في نشرات الأخبار والبرامج الحوارية على حساب تغطية الصراع مع الاحتلال .

وظل الشارع الفلسطيني يسمع ويشاهد مفردات خطاب حركة فتح في وصفها لحركة حماس بعد سيطرتها على قطاع غزة واستيلائها على السلطة بالانقلابية ومن قام بذلك بالانقلابيين، التكفيريين، الظلاميين، وأنهم يسعون إلى بناء إمارة ظلامية من التعابير الغريبة على الخطاب الإعلامي وعن الرأي العام الفلسطيني.

في حين لم يتوان إعلام حركة حماس عن الرد بوصف السلطة الوطنية بالخائنة والعميلة ووصفها الحكومة في رام الله بحكومة دايتون وزمرة عباس، أجهزة عباس وعصابته وغيرها، "فقد استغلت حقل التضاد اللغوي موظفة كل ما في مخزونها اللغوي من مفردات وجمل ومصطلحات من أجل تجريم السلطة وحركة فتح، منها (زمرة أوسلو، الشلة الأمريكية الإسرائيلية، الأهلية الوطنية، الثلة المارقة، المجموعات

الباغية، التيار الانقلابي، عصابة طاغية وبلطجية، عصابات رام الله، الحكومة اللاشرعية زمرة فاسدة، الفريق الخياني اللحدي، التيار الخياني، مسلحون من التيار الخياني، الخائن الجاسوس، القيادة العميلة، العملاء والخونة، الشعب الفلسطيني ضحية مراسيم عباس اللاقانونية، توظف حماس مفردات لغوية ذات دلالة واضحة بقصد التشويه للسلطة ولرئيسها"[١].

وباتت وسائل الإعلام تلعب دورا غير نزيه ومنحازاً لصالح طرف على حساب الآخر وغلبت المواقف السياسية للحركتين على حساب المصالح الوطنية نتيجة للبيئة التي خلقتها أجواء الانقسام "في حين أن وسائل الإعلام الالكترونية التي تحسب على طرفي الصراع كان لها دور تحريضي مفرط من خلال نشر صور فوتوغرافية، إضافة إلى بث أفلام الفيديو العنيفة في إطار عملية تشويه كل طرف للطرف الآخر الأمر الذي حول تلك المواقع إلى مجرد وسيلة لتغذية مشاعر الكراهية وتغذية العنف، وسط غياب الدعوات أو حتى الإشارة إلى أهمية خيارات الحلول السلمية وتكريس الحوار كبديل عن إطلاق النار"[٢].

وعلية بقيت أجواء الاحتقان بين غزة ورام الله نتيجة هذا الخطاب راسخة بين أنصار الطرفين، حيث كان التراشق يهدأ نسبيا، ثم ما يكاد ليعود وينفجر ثانية بعد تصريح أو موقف من هذا الطرف أو ذاك ليعكس حالة عدم الثقة المفقودة بين الطرفين وخصوصا الارتدادات الإقليمية والعربية التي أثرت -بلا شك -في استمرار هذه الحالة، بالإضافة إلى تعاظم دور الإسلام السياسي "وأصبحت السياسة الفلسطينية داخليا تعجّ بالعديد من الجدليات والمتغيرات المتجددة والمتلاحقة، ومع الحضور السياسي الفاعل الذي حظيت به حركة حماس أقوى الحركات الإسلامية، أصبح المشروع الوطني الفلسطيني يواجه طروحات

(١) أبو شنب، حسين، الإعلام الفلسطيني في ضوء المتغيرات السياسية والتكنولوجية (واقعه، تحدياته، مستقبله). الحياة الجديدة. الجمعة ١٤ آذار (١٣ جمادى الأولى) ٢٠١٤ العدد٦٥٩٠.

(٢) حمدان، منتصر. دور الإعلام الفلسطيني في تعزيز الانقسام (فضائيتا فلسطين والأقصى نموذجا)، المركز الفلسطيني للتنمية والحريات (مدى)، ٢٠١٢، ص٦.

فكرية جديدة تمتدّ بأصولها إلى مشروع الإخوان المسلمين العالمي.حزب التحرير الإسلامي، وحركة الجهاد الإسلامي، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)"[1].

رغم اللغة التصالحية والتوافقية التي حلت في مفردات الخطاب الإعلامي بين الضفة وغزة (مع شديد من التحفظ) قبل الحرب، وتحديدا بعد التوقيع على تفاهمات المصالحة التي أدت إلى تشكيل حكومة الوفاق الوطني برئاسة د.رامي الحمد الله في أعقاب فشل المفاوضات بين (م.ت.ف) وحكومة الاحتلال وتنكرها للاتفاقات المبرمة واستمرارها في الاستيطان ما أسهم في خلق أجواء إيجابية بين "الإخوة الأعداء".

المبحث الثاني
خصائص الخطاب الإعلامي إبان العدوان على غزة

دون أدنى شك كان الإعلام الفلسطيني وخطابة أكثر تميزا ومهنية في هذه الحرب العدوانية على غزة التي ما فتئت أن تستريح من عدوان أو اجتياح غاشم أو هجمة جوية لضرب مؤسسات أو اغتيال قيادات حتى تبدأ حرب عدوانية أخرى عليها وكأن غزة مصيرها الحصار والموت ولكن هيهات فهي التي تنهض من تحت الركام في كل عدوان لتقول للمحتل هذه أرضنا وهنا باقون .

ارتفعت وتيرة الخطاب الإعلامي مع بدء العدوان في معظم وسائل الإعلام الفلسطينية التي دافعت عن حق الشعب الفلسطيني في مواجهة المحتل المعتدي والرد على جرائمه لتعود وتستخدم قاموسها النضالي (فاشية الاحتلال، الممارسات النازية، الهجمة العدوانية، حكومة اليمين الصهيوني المتطرف، الكيان الصهيوني الغاصب، بشاعة وفظاعة المحتل وجرائمه، النازيين الجدد.....وغيرها)، باستثناء البعض منها خشية كسب المزيد من التأييد الجماهيري لصالح أذرع المقاومة المتعددة، " فبعض وسائل الإعلام الفلسطينية أشبه بوسائل الإعلام العربية التي كما يقول الباحث في شؤون الإعلام والاتصال د.نصر الدين العياضي لم تتخلص مما اسماه "الإرث القاتل "، الذي تجره وراءها، وهو الإعلام التجنيدي أو التعبوي،

(١) عودة، كفاح، أحداث حزيران ٢٠٠٧ في قطاع غزة وتأثيرها على المشروع الوطني "استراتيجيا وتكتيكيا"، جامعة النجاح، رسالة ماجستير منشورة، ٢٠٠٩، ص٨٣.

الذي ترعرع منذ الستينات من القرن الماضي في قاعات التحرير، موضحا أنّ الجديد اليوم "يكمن في وجود وسائل إعلامية عربية ترفع المعنويات، وتلك تثبط العزائم وتدعو إلى اليأس"(١).

واكبت وسائل الإعلام الفشل الذريع لسير العملية التفاوضية رغم الجهود المكثفة التي بذلها وزير خارجية الولايات المتحدة (جون كيري) جراء استمرار الاحتلال في سياساته الاستيطانية، وتنكره لحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية، واتهامه الجانب الفلسطيني سعيه لنزع الشرعية عن دولة الاحتلال واتخاذ السلطة الوطنية الفلسطينية خطوات أحادية الجانب (وفق وصفها) تقوض من فرص تحقيق السلام، وبذلها جهود كبيرة لانتزاع اعتراف مجلس الأمن بها كدولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة دون استشارة دولة الاحتلال.

دفع ذلك إلى توقف المفاوضات بين الطرفين (الفلسطيني والاحتلال) الأمر الذي ساعد في دفع الفلسطينيين إلى التقارب أكثر من أجل إنهاء ملف الانقسام وتشكيل حكومة الوفاق الوطني، مما أثار حفيظة دولة الاحتلال التي اتهمت السلطة بالتحالف مع حركة حماس الإرهابية (على حد وصفها) من أجل القضاء على دولة إسرائيل زاعمة أنّه لا يوجد شريك فلسطيني حقيقي لصنع السلام.

وقد جاء تشكيل حكومة الوفاق هذه نتيجة تحديات وظروف إقليمية ودولية جعلت خيار الوحدة نوعاً من الضرورة، ففي غزة كانت حكومة حماس تواجه تحدياً متصاعداً بعد تشديد الخناق عليها من قبل النظام العسكري المصري، الذي بدأ يشكل اتجاهها موقفاً عدائياً غير مسبوق في العلاقات المصرية – الفلسطينية؛ أما في الضفة الغربية فقد وصلت سلطة رام الله إلى طريق مسدود إثر توقف العملية التفاوضية المستمرة منذ مؤتمر (أنابوليس)على مدى سبع سنوات دون أيّ ثمار تذكر(٢).

من الناحية الموضوعية والميدانية فقد بدأ العدوان بتاريخ ١٢ حزيران ٢٠١٤ بعد فقدان ثلاثة مستوطنين بالقرب من مفترق عتصيون شمال الخليل واتهام حركة حماس بالوقوف وراء ذلك، والتصعيد

(١) عبد الحليم موساوي، الوطن العربي والتحولات الديمقراطية "دراسة التعاطي مع الثورات العربية"، مجلة دراسات وأبحاث، مركز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢، ص١١٥.

(٢) مركز الزيتونة، قراءة في أداء السلطة الفلسطينية خلال حرب غزة ٢٠١٤ وانعكاساته المستقبلية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤، http://www.alzaytouna.net/permalink

الأمني الذي رافق هذا الحدث، والدفع بما يقارب ١٥ ألف جندي احتلالي في جبال الخليل تحت ذريعة البحث عنهم، وما رافق ذلك من قمع لإضراب الأسرى وعمليات نهب، وسرقة، وتخريب لممتلكات المواطنين تحت ذريعة البحث عنهم، ولاحقا العثور علي جثثهم من قبل مستوطنين بعد مرور ١٨يوما على اختفائهم في كهف بمنطقة "سكة" في بلدة حلحول شمال الخليل.

رافق ذلك تصعيدا سياسيا ضد السلطة الفلسطينية وميدانيا بقتل خمسة فلسطينيين وإحراق للطفل محمد أبو خضير حيا على يد ثلاثة مستوطنين، بعد الخطاب التحريضي الذي مارسته حكومة الاحتلال وأجهزة إعلامها، وتجلى ذلك في مطالبات "صحافيي إسرائيل، باستثناء صحافيي (هآرتس)، وقلة في (يديعوت أحرونوت)، من أمثال (ناحوم برنيع)، فضلاً عن الرؤوس الحامية الإسرائيلية، ليس فقط برأس "حماس" وعناصرها، وإنما أيضاً بحرق كل ما هو أخضر في الضفة الغربية، على غرار ما كتب ي(وآف ليمور) في صحيفة (إسرائيل هيوم)، المقربة من نتنياهو، والتي بزت صحف إسرائيل كلها، في إطلاق دعوات الثأر وطلبات الانتقام"[١].

في المقابل عملت وسائل الإعلام الفلسطينية على فضح هذه الاعتداءات والتشكيك في رواية أجهزة الاحتلال الأمنية والرد عليها و التصدي لرواية وسائل الإعلام هذه من خلال التركيز على كشف الممارسات العدائية وأعمال العربدة التي يمارسها جيش الاحتلال ومستوطنيه، وتخصيص مساحات كبيرة من بثها ونشرها لتعرية الانتهاكات الإنسانية وإبراز المواقف السياسية للقيادة الفلسطينية وموقف فصائل المقاومة المسلحة على مدار الساعة، وكانت إسرائيل تتطلع إلى تحقيق أهداف بعينها، "تأتي في مقدمتها، توجيه ضربة مؤلمة لحركة حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة، فضلا عن محاولة تعطيل اتفاق المصالحة، ونزع الشرعية الدولية التي حصلت عليها حكومة الوفاق الفلسطينية"[٢].

وكانت وسائل إعلام غربية أشارت إلى معرفة الأجهزة الأمنية لسلطات الاحتلال حقيقة ما جرى وأن العملية لا تتعدى عملية قتل لا اختطاف " وبعد مرور عدة أسابيع من العثور على الجثث بئت القناة

(١) العربي الجديد، نتنياهو يؤجج مشاعر الانتقام ... وإعلام إسرائيل يروّج للدم، موقع العربي الجديد، لندن، ٢٠١٤، http://www.alaraby.co.uk/politics

(٢) المركز العربي للأبحاث والدراسات، العدوان الاسرائيلي الجديد على غزة، وحدة تحليل السياسات، ٢٠١٤، ص١.

الثانية شبه الرسمية في تلفزيون (ZDF) الألماني تقريراً عن الحادثة حيث ذكر التقرير بأن الشرطة الإسرائيلية وأجهزة استخباراتها عرفتا بعد وقت قصير من وقوع الحادثة أن الأمر يتعلق بعملية قتل وليس باختطاف، وأنّ رسالة استغاثة مسجلة تلقتها الشرطة الإسرائيلية من أحد المستوطنين الثلاثة سُمع فيها أمر بخفض الرؤوس أعقبه إطلاق عشر رصاصات، وأوضح أنّ الحكومة الإسرائيلية كانت تعرف أنّ المستوطنين الثلاثة في عداد القتلى، لكنها أرسلت شرطتها وأجهزتها الأمنية لتشنا حملة واسعة من المداهمات والاعتقالات بالضفة الغربية بحثا عنهم وكأنهم أحياء.

وبدأ الحديث عن ضرورة الرد على حركة حماس التي نفت وقوفها خلف الحادثة وضرورة إنهاء وجودها بشن حملة عسكرية جديدة (عدوان) لتضع حدا للتهديد الذي تمثله بالنسبة لوجود دولتهم – وفق زعمهم – وعبر وسائل إعلامهم وعلى لسان العديد من أبرز صحافييهم "وطالب صحافيو (إسرائيل هيوم)، وعلى رأسهم الصحافي المخضرم (دان مرغليت) الذي كان محسوباً على الوسط، بـ"ضرب كل ما له علاقة بحماس: المنشآت، القواعد التنظيمية، البنى التحتية، ومطاردة أقارب العناصر وعائلاتهم، عبر حرب ضروس تشنّ الآن وليس غداً". ودعا إلى "تذكر ثأر إسرائيل من منفذي عملية ميونخ، وإصرار رئيسة حكومة إسرائيل، يومها(غولدا مائير) على وجوب قتل كل من له علاقة بالعملية". وجاءت عناوين الصحيفة، وكأنها مقتبسة من صحف إيطاليا الفاشية، في ثلاثينيات القرن الماضي، مع دعوة المحلل العسكري للصحيفة(يوآف ليمور) إلى "مطاردة حماس، بجناحيها العسكري والمدني دون تمييز، وشن حرب لا هوادة فيها على الحركة". واعتبر أنه "ليس في حوزة إسرائيل وسائل كافية، بعد حملات الاعتقال، والضربات التي وجهتها للحركة"[1].

بدأ الاحتلال الإسرائيلي عدوانه على قطاع غزة بعد مرور خمسة أسابيع على تشكيل حكومة الوفاق وثمانية أيام فقط بعد العثور على جثث المستوطنين الثلاثة باستهداف كل ما تحتويه غزة من سكان عزل إلى مؤسسات على اختلاف أنواعها وفصائل المقاومة الفلسطينية تحت ما سمي بعملية "الجرف الصامد" وفي ذات الوقت لم تتوان الأجنحة العسكرية للمقاومة في الرد فشرعت كتائب عز الدين القسام على الفور

(١) مرجع سابق، http://www.alaraby.co.uk/politics.

بمعركة أطلقت عليها " العصف المأكول" وحركة الجهاد الإسلامي بمعركة "البنيان المرصوص" وباقي الفصائل.

في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي تشكل المواجهة الإعلامية عنصرا أساسيا بالنسبة للفلسطينيين لفضح الاحتلال وجرائمه وتشكيل رأي عام دولي ضاغط لصالح الشعب الفلسطيني في ظل ميل الكفة العسكرية لصالح المحتل بالإضافة إلى امتلاكه الآلة الإعلامية الضخمة التي تمكنه كثيرا من تسويق روايته ما يُلزم الفلسطيني على تطوير أدواتة الإعلامية جنبا إلى جنب مع أدواتة القتالية لكي تكون أداة فعالة في الدفاع والهجوم، وهذا ما حصل في حرب غزة الأخيرة من ناحية الأداء الإعلامي الفلسطيني وخصوصا الإعلام المقاوم، حيث يصنف الإعلام الفلسطيني على أنّة مقاوم على اختلاف الرؤى بالنسبة لأشكال المقاومة.

سارت التغطية الإعلامية للحرب بشكل متفاوت ومختلف في مضمون الخطاب ومحتواه، فهناك وسائل إعلام ركزت على إدانة العدوان وتجريمه وركزت على المعاناة الإنسانية للسكان وغيبت عن قصد رد المقاومة على العدوان وذلك لتحميل حركة حماس مسؤولية ما يجري جراء تمسكها بإدارة قطاع غزة رغم تبعات ذلك، وأخرى عالجته بشكل متوازن من خلال كشف حجم الخسائر البشرية والدمار وفي نفس الوقت حث الأهالي على الصمود والتضحية ومساندة المقاومة وإبراز دورها في التصدي للعدوان .

ظهر ذلك جليا في وسائل إعلام الضفة الغربية المحسوبة على حركة فتح وعلى رأسها فضائية فلسطين ووكالة(وفا) وغيرها من المواقع الالكترونية، وفي الجانب الآخر المحسوبة على حركة حماس وأهمها (فضائية الأقصى) و(القدس)ومواقع الكترونية عديدة، في حين أنّ "القنوات الإخبارية واظبت كل يوم على نقل صور الدمار وأشلاء القتلى وصراخ النساء وعويل الجرحى وآهاتهم، لكن التعليق على هذه الصور كان مختلفا أشد الاختلاف، اختلاف يعكس وجهات نظر مختلفة ورؤى متناقضة، قبل أن تتحول قضية غزة برمتها إلى أداة إعلامية لإعلان المواقف وصنع السياسات وتشكيل الجماعات والأحلاف[1]"•

(١) أبو شيخة، طاهر. الحرب على غزة– مأساة واحدة وتغطية إعلامية متضاربة، ٢٠١٠، http://www.masrawysat.com

لذا فإن طبيعة البرامج التي كان يتم بثها على الفضائيتين من أخبار وتقارير وبرامج خلال عدوان ٢٠١٤ حملت خلفيات سياسية وأفكار ومعتقدات أيديولوجية للفصيلين اللذين انتهجا سياسة الإعلام المفتوح، ما يؤشر على أن المواجهة كانت مفتوحة على مصراعيها واتضح ذلك جلياً من خلال برامج البث المفتوح أمام اتصالات الجمهور دون ضوابط أو معايير مهنية كما لعب الانتماء السياسي للعاملين في هاتين الفضائيتين دورا كبيرا كان له انعكاسه على الأداء الإعلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في ظل محاولة كل منهما الترويج لمواقف حركته السياسية والدفاع عنها، كا ان لكل قناة تلفزيونية خطها السياسي والأيديولوجي وجمهورها المستهدف ومواقفها من مختلف القضايا المطروحة داخليا وخارجيا. ولا بد من التركيز على أن التوجهات السياسية قد تكون لخدمة سياسية داخلية.

لقد لعبت فضائيتا فلسطين والأقصى دوراً رئيساً خلال معركة العصف المأكول، فهاتان القناتان تدينان بالولاء إلى الحركتين المتخاصمتين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ففضائية فلسطين من المؤسسات الإعلامية المحسوبة على السلطة الفلسطينية، وفضائية الأقصى المحسوبة على حركة حماس.

الخطاب الإعلامي لوسائل الإعلام المحسوبة على المقاومة والمؤيدة لها

لقد قامت العديد من وسائل الإعلام ومن أبرزها (فضائية الأقصى) خلال تغطيتها الإعلامية للعدوان على قطاع غزة عام ٢٠١٤ بالسير على نهج الإعلام المقاوم، فقد ركزت في مضامينها الإعلامية على إدانة الجريمة البشعة ونعي الشهداء، وتحميل الاحتلال مسؤولية تداعيات ما حدث و تكثيف الخطاب التعبوي لمواجهة العدوان واتباع أسلوب الخطاب الثأري والثوري لرفع الهمة وتجاوز آثار الضربة والعمل على رفع الروح المعنوية للمواطنين في الجبهة الداخلية والدعوة إلى الوحدة لمواجهة العدوان والالتفاف حول خيار المقاومة والتأكيد على شرعية المقاومة وضرورة ردها على الجرائم والدعوة لوقف التطبيع مع الاحتلال وقطع التنسيق الأمني وذلك من خلال عرض البيانات العسكرية للكتائب مدعومة بالصور والفيديوهات وبث الأغاني الحماسية ونقل التقارير الحية لما يجري .

وتميز الخطاب الإعلامي بأنة أكثر مهنية وأكثر ذكاءً في التعامل مع العدوان وواكبت وسائل الإعلام التقليدية والكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي تطورات العدوان أولا بأول، وكان للإعلام الفلسطيني حضور أكبر في تغطيته للعدوان على عكس الحروب السابقة التي شنها الاحتلال على غزة

"فالإعلام المقاوم له أهمية بالغة، فهو المكمل لدور المجاهد، ولا يقل دوره عن دور المحارب في المعركة كونه يعطي دفعات معنوية على الصعيد النفسي ويركز على التأثير سلباً على نفسية المحتل وأجهزة استخباراته وإعلامه.

الإعلام المقاوم بمثابة سلاح قوي من أسلحة المواجهة، ورافد أساسي واستراتيجي للمقاومة وهو الذي يعطي لعمليات المقاومة ونشاطاتها المختلفة ما تحتاجه من شرعية في ظل الإعلام الصهيوني المضاد الذي يحاول إظهار المقاومة وكأنها حركات إرهابية مهمتها فقط القتل والذبح والخراب، ويعتبر الإعلام المقاوم ضرورة ملحّة، وتأثيره مطلوب، ولا بد أن يؤدي إلى زعزعة الصف المعادي، وكشف سيل الأكاذيب الذي تستخدمه الآلة الإعلامية والعسكرية الاحتلالية[1] ".

والمهم هنا أنّ الأجنحة العسكرية استخدمت الإعلام الحربي جنبا إلى جنب مع أسلحتها الخفيفة وباتت الكاميرا تسجل وتوثق نجاحاتها في التصدي لآلة الحرب الاحتلالية، وتفند أكاذيبها التي تسوقها للعالم والشارع الإسرائيلي واستخدامه كأداة في الحرب النفسية لضعضعة الجبهة الداخلية وإضعاف تماسكها و معنوياتها ومعنويات جيشها والتصدي للحرب الإعلامية التي تشنها وسائل الإعلام العبرية " فالمجموعة المقاتلة النموذجية باتت تحتاج في زمن العولمة، زمن التكنولوجيا عابرة الحدود والإنترنت والفضائيات، بالإضافة إلى الأسلحة الخفيفة والقنابل، إلى سلاح لا يقل أهمية: وهي كاميرا الفيديو لتسجيل عمليات المقاومة وتصويرها التي باتت جزءاً ضرورياً من عتاد المقاومة، لا يقل أهمية عن الأسلحة والمتفجرات. وتوثيق عمليات المقاومة وخسائر العدو بات بحد ذاته عملاً لا يقل أهميةً عن القيام بهذه العمليات وإحداث هذه الخسائر .

الخطاب الإعلامي في الأسبوعين الأولين للحرب

ركز خطاب السلطة الوطنية على ضرورة وقف الحرب وأنّ استمرارها سيقضي على فرص تحقيق السلام مناشدة العالم ضرورة التدخل لوقفها والبحث في سبل استئناف المفاوضات للتوصل إلى حل شامل للقضية الفلسطينية وتجاهلت وجود المقاومة ولم تذكرها أو تشير إلى فعلها المقاوم الذي يشكل عامل ضغط

(١) شهاب، محمد. الاعلام المقاوم ودوره في القضية الفلسطينية، مؤسسة نماء. ٢٠١٢ ، ص٢.

بالنسبة لها سياسيا أثناء التفاوض مع المحتل .في الوقت الذي لا يمكن الخوض في تفاصيل الخلافات الداخلية الفلسطينية –الفلسطينية في ظل استمرار العدوان على بشاعته . وسارعت القوى الفلسطينية إلى توظيف الإعلام في معركتها مع الاحتلال، "كون أن الإعلام يشغل المجال الشفاف بين الفعل السياسي والثقافي ورد الفعل الجماهيري،فقد تسابقت كل القوى إلى السيطرة على وسائلة المختلفة، لتكون تابعة لها متبنية لأفكارها [١].

لقد شهدت التغطية الإعلامية للحرب تفاوتا ملموسا بين الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تأثرت الصحف المركزية (الحياة الجديدة، الأيام، القدس) بموقف حركة فتح والسلطة الوطنية والرئيس محمود عباس ،في حين كانت بقية وسائل الإعلام المستقلة نسبيا موضوعية في تغطيتها بحيث أدانت العدوان وركزت على تصدي المقاومة له. وفي بداية العدوان لم تختلف التغطية الإعلامية لهذه الوسائل عن الحربين السابقتين على غزة فقد تأثرت بحالة الانقسام أو تراكماته وموقف السلطة الرسمي كما كان في صحيفة القدس في حرب العام ٢٠٠٨ "التي استجابت لمجموعة من الضغوط والتأثيرات على رأسها حالة الانقسام الفلسطيني الراهنة قد ساهم بشكل كبير في تبنيها لخطاب إعلامي تراوح بين إدانة الحرب وتجريم الاحتلال من جهة وعدم اعتبارها حرب الكل الفلسطيني من جهة أخرى، إضافة إلى استخدامها للغة أقرب للحيادية الإعلامية تجاه ما جرى في غزة، بل ووقوعها فريسة لبعض مقولات الإعلام الغربي الذي ناصر الاحتلال في عدوانه"[٢].

وقد لعبت وسائل الإعلام المستقلة من محطات إذاعية خاصة ووكالات أنباء ومواقع الكترونية ووسائل تواصل اجتماعي ومدونات دورا محوريا في دحض الرواية الإسرائيلية وكشف أكاذيبها،وحقق ذلك نجاح كبير باعتراف الإعلام الإسرائيلي. إضافة إلى متابعة المواطن الفلسطيني إلى وسائل الإعلام التي كانت موضوعية ومنحازة للمقاومة، وهذا ما أثبتته استطلاعات الرأي. وجاء في استطلاع للرأي العام الفلسطيني أجراه مركز وطن للدراسات والبحوث حول اتجاهات أراء الفلسطينيين حول العدوان على غزة

(١) مهدي، محمد. واقع العربية في الخطاب الاعلامي المعاصر، ، الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.ص٣.

(٢)فارس، عوني. الخطاب الإعلامي لصحيفة القدس خلال الحرب على غزة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٩، http://www.palestine-studies.org/

٢٠١٤ أن الإعلام المسموع لعب الدور الأهم في التغطية في غزة والضفة الغربية، حيث جاء على النحو الآتي :

في غزة حصلت إذاعة صوت الأقصى على نسبة ٤٧.٦٪ تلتها إذاعة صوت القدس بنسبة ٣٧.٠٪، ثم إذاعة صوت الشعب بنسبة ٥.٨٪، ومن ثم إذاعة صوت فلسطين بنسبة ٤.٦٪، ونسبة ٤.٦٪ يؤيدون إذاعات أخرى.

أما في الضفة الغربية حصلت إذاعة صوت الأقصى على نسبة ١٣.٩من المستمعين، تليها إذاعة فلسطين بنسبة ١٢.٢٪، ثم إذاعة صوت القدس٩.٥٪، ثم إذاعة الحرية بنسبة ٨.٦ ٪، ثم إذاعة أجيال بنسبة٥.٧ ٪، ونسبة ٣٧.١ ٪ لا يتابعون، ونسبة ١٣٪ يتابعون إذاعات أخرى .

وجاء الإعلام المرئي كالأتي: في قطاع غزة احتلت فضائية الميادين المكانة الأولى بنسبة ٢١.١٪ كما حصلت فضائية الجزيرة على نسبة ٢٦.٣٪ من المشاهدين، تليها فضائية الأقصى بنسبة 23.0٪ ثم فضائية القدس بنسبة ١٠.٢٪، ثم فضائية فلسطين اليوم بنسبة ٦.٧ ٪ تليها فضائية فلسطين بنسبة ٣.١ ٪، ونسبة ٩.٦ ٪ يشاهدون فضائيات أخرى.

في حين كانت في الضفة الغربية والقدس على النحو الآتي : فضائية الأقصى ٣٧.٥٪ من المشاهدين، تليها فضائية الجزيرة بنسبة ١٣.٧٪، ثم فضائية فلسطين اليوم بنسبة ١٣.٣٪ فيما لوحظ زيادة نسبة المشاهدين لفضائية فلسطين اليوم مقارنة بالاستطلاعات السابقة، ومن ثم فضائية الميادين بنسبة ١١.٩٪ وفضائية فلسطين بنسبة ١٠.٥٪ وفضائية القدس بنسبة ٧.٨٪ ونسبة ٥.٤٪ يتابعون فضائيات أخرى.

أما على صعيد المواقع الالكترونية حصلت وكالة معا المرتبة الأولى من المتابعين بنسبة ٢٦.٨٠٪، يليها موقع دنيا الوطن بنسبة ١٦.٠٠٪، ثم وكالة فلسطين اليوم بنسبة ٩.٦٪، ومن ثم وكالة فلسطين الان بنسبة ٥.٥٠٪، وثم وكالة سما بنسبة ٣ ٪ ثم وكالة فلسطين برس بنسبة ١٪ ونسبة ٣٨.١٠٪ مابين لايتابعون مواقع الكترونية أو يتابعون مواقع أخرى "[١].

(١) معا، اتجاهات أراء الفلسطينيين، ٢٠١٤، https://www.maannews.net/

وهذا الفارق الكبير في تفاوت النسب بين الإعلام المنحاز للمقاومة وإبراز دورها في الرد على العدوان والإعلام، الذي اكتفى بالإدانة للعدوان، وغابت التغطية الموضوعية عنه ومال إلى تحميل حماس مسؤولية ما يجري من خلال تصريحات أخذت طابع دبلوماسي حذر، صدرت عن قادة فتحاويين ومسئولين في السلطة الوطنية . مع بداية العدوان كان هناك العديد من التصريحات الإعلامية ، تحدث فيها الناطقون باسم حركة فتح أمثال أسامة القواسمة واحمد عساف وجمال نزال واللواء عدنان الظميري الناطق باسم الأجهزة الأمنية الفلسطينية وغيرهم، ومن على شاشات ومواقع ووكالات أنباء محلية وعربية ودولية عن إدانة إسرائيل بشدة، وعن ضرورة توفير الحماية للشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت كانت هناك إشارات لتحميل حماس المسؤولية، وأنه لا يجوز لأي فصيل إعلان الحرب دون العودة للمرجعية الشرعية .

وعلى سبيل المثال ذهب ممثل دولة فلسطين إبراهيم خريشة في مجلس حقوق الإنسان إلى وصف صواريخ المقاومة "بالجريمة"، وأن إسرائيل على عكس حماس تحذر سكان غزة قبل قصف البيوت وبالتالي تتجنب الانتقادات الدولية عن أفعالها، ونصح المطالبين بالذهاب للمؤسسات الدولية ضد إسرائيل وممارساتها عدم الحديث بعواطفهم بل الاطلاع على القانون ومعرفة حيثيات الأمور بدقة قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة .

وأثار هذا التصريح غضب وانتقاد كبير له وللسلطة الوطنية الفلسطينية بين أوساط المواطنين الفلسطينيين، حيث وصفة البعض بأنه مندوب إسرائيل الصهيوني وليس مندوبا لفلسطين، فيما نشرت صحيفة معاريف العبرية تحت عنوان "المتحدث باسم السلطة الفلسطينية في مجلس حقوق الإنسان في جنيف يتحدث مثل المتحدث باسم جيش الدفاع"[١].

ووردت على لسان قيادات السلطة الفلسطينية عبارات الإدانة والشجب للعدوان، وعلى رأسهم الرئيس محمود عباس، دون الإشارة لحق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه . في ذات الوقت كان هناك تيارا آخر من شخصيات بارزة في حركة فتح، ومنهم من تحدث بخطاب مختلف عكس تناقضا في موقف

(١) خالد، تيسير، تصريحات مندوب فلسطين في جنيف صادمة ولا تمثل المنظمة، دنيا الوطن، ٢٠١٤،
http://www.alwatanvoice.com

الحركة من المقاومة المسلحة، أكدوا فيه على ضرورة الرد على جرائم الاحتلال، ومنهم أمين مقبول ونجاة أبو بكر ونبيل شعث وغيرهم، وجاءت بعض التصريحات على النحو الآتي:

- "الرئيس الفلسطيني محمود عباس يجري اتصالاً هاتفياً مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ويتباحث معه في التصعيد الإسرائيلي الخطر ضد قطاع غزة، وكيفية احتواء ما يجري، حيث أكد السيسي حرص مصر على سلامة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وتجنيب القطاع هذا الهجوم الخطر ووقف التصعيد والعمل على التوصل؛ لوقف إطلاق النار بأسرع وقت ممكن، مشدداً على أن جهود مصر لم تتوقف منذ بدء العدوان؛ لوقف إطلاق النار، كما أجرى الرئيس عباس اتصالاً هاتفياً مع الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي، تم خلاله استعراض الخطوات المطلوبة لوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة".[1]
- "المتحدث باسم الحكومة الفلسطينية ومدير المركز الإعلامي الحكومي، إيهاب بسيسو، يطالب في تصريح صحافي المجتمع الدولي بالتدخل الفوري لوقف العدوان الإسرائيلي وتوفير الحماية للمواطنين الفلسطينيين في قطاع غزة.
- رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، سليم الزعنون، يطالب في تصريح صحافي بالتدخل الفوري لوقف المجزرة التي تقوم بها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية، داعياً إلى عقد جلسة طارئة للاتحاد البرلماني العربي.
- المتحدث باسم حركة فتح، أسامة القواسمي، يحمل في تصريح صحافي الحكومة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة عن جرائمها بحق الشعب الفلسطيني، مشيراً إلى أن الهدف الأساسي هو هروب حكومة إسرائيل من الاستحقاقات السياسية إلى المربع الأمني واستبدال الأولويات والخروج جملة وتفصيلاً من المعادلة الدولية التي عزلت عنصريتها وسياساتها الاستيطانية"[2].

(١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، يوميات الصراع العربي – الاسرائيلي، ٢٠١٤، http://www.palestine-studies.org/

(٢) وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية، يوميات الحرب على قطاع غزة، ٢٠١٤، http://www.wafa.ps .

بعد أسبوعين على العدوان قررت حكومة الاحتلال البدء في هجوم بري نتيجة استمرار المقاومة في الرد باستهداف العمق الإسرائيلي بصواريخها، وفشل القبة الحديدية باعتراض جزء كبير منها، ورغم الدمار الكبير الذي حل بقطاع غزة والمجازر التي ارتكبت بحق الأبرياء، واصلت المقاومة تصديها للهجمات الجوية، والتوغل البري موقعة خسائر في صفوف جنود الاحتلال، وتدمير عدد من آلياته وقصف المدن الكبرى مما أربك حسابات الاحتلال وخلق حالة من التوازن في الرعب، وقاد ذلك إلى رفع شأن المقاومة من خلال التغطية الإعلامية والبيانات العسكرية، التي هددت بها الأجنحة العسكرية ولأول مرة قادة حكومة الاحتلال مما ساهم في الضغط على دولة الاحتلال للحديث عن هدنة .

اشتعل الشارع الفلسطيني وارتفع رصيد المقاومة لدية، فتنبهت حركة فتح لذلك، وبدأت تغير من نبرة خطابها بعد صمود المقاومة في وجه الاجتياح البري، وتمكن المقاومة من انتزاع المبادرة، واسر عدد من الجنود الإسرائيليين . في الوقت ذاته و"على المستوى السياسي شهدت الحرب تفاوتاً كبيراً في مواقف قيادة السلطة بين مرحلتين: الأولى على مدى أسبوعين تعاملت بشيء من البطء والبرود لا يتناسب مع حجم العدوان، والثانية رفعت سقفها بما يتناسب مع المطالب الشعبية ومطالب المقاومة، دون أن يخلو الأمر من ثغرات في الأداء السياسي"[١].

وبرزت مواقف مختلفة اتجاه المقاومة بين صفوف قيادات في حركة فتح بين من دافع عنها ومن انتقد أدائها، الذي وصف صواريخها بالعبثية، وان حجم الخسائر البشرية في صفوف الفلسطينيين عظيم بالمقارنة مع قتلى الاحتلال الذي لا يكاد يذكر، وقد تغنت عضو المجلس التشريعي عن حركة فتح نجاة أبو بكر ببسالة المقاومة ومن على شاشة قناة الأقصى، بالإضافة إلى عضو المجلس الثوري لحركة فتح أمين مقبول الذي "رد على جمال نزال حين وصف المقاومة بأنها تختبئ في المستشفيات، بأنه غبي ولا يمثل الحركة"[٢] وركز الخطاب الإعلامي المقاوم لفضائية الأقصى و(فلسطين اليوم) و(القدس) وبعض الإذاعات المحلية والمواقع الالكترونية والمدونات، ومواقع التواصل في هذه المرحلة على توحيد الصف وأن المقاومة مستعدة

(١) مركز الزيتونة، قراءة في أداء السلطة الفلسطينية خلال حرب غزة ٢٠١٤ وانعكاساته المستقبلية، ٢٠١٤، http://www.alzaytouna.net/

(٢) وكالة نبأ، تصريح أمين مقبول،٢٠١٤ http://www.naba.ps/

للمعركة، وأنها واثقة من قدرتها على الصمود وإلحاق الأذى بالمحتلين ودعوة العرب والعالم الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في غزة بموازاته، وفضح الاحتلال وتعريته وإظهار همجيته وضعفه ورعبه أمام المقاومة وصمود الأهالي العزل، ودعوة المؤسسات الدولية إلى القيام بواجبها الأخلاقي والإنساني والقانوني.

وركزت فضائية الأقصى على بيانات كتائب عز الدين القسام، وخاصة ناطقها الإعلامي "ابو عبيدة" الذي كان له اكبر الأثر في تزويد المواطنين بجرعات من المعنوية وروح الصمود والتحدي والحوارات واستضافة الخبراء والمختصين والمسئولين من أجل الحث على التضحية والصمود والتحدي للاحتلال والتأكيد على أن القول الفيصل سيكون للقادة الميدانيين المقاومين، مع ترك الباب مواربا أمام التحركات السياسية والمبادرات والإعلان صراحة عن قبول وقف إطلاق النار مقابل شروط تفرضها المقاومة منها: وقف العدوان وفتح المعابر والمطالبة بالمطار والميناء والإفراج عن أسرى صفقة شاليط مع إعلاء السقف التفاوضي بسقف إعلامي عال برفض أي اشتراطات إسرائيلية لوقف النار، والتبشير بقرب النصر بشكل يظهر ثقة بالنفس ويعطي دفعات معنوية للمواطنين، والإشادة بمستوى الصمود والتحدي ودعوتها للمزيد من الصبر، وفضح جرائم الحرب التي يقترفها الاحتلال من خلال النقل الحي للإحداث أولا بأول، رغم استهداف الاحتلال للصحافيين وخاصة قناة الأقصى، بالإضافة إلى بث مقاطع لعمليات فدائية نفذتها المقاومة لتؤكد وسائل الإعلام أنها تقاتل جنبا إلى جنب مع المقاومة في صد العدوان، ومنعه من تحقيق أهدافه وظهر ذلك في سرعة تفاعل المقاومة مع العدوان حيث" استطاعت في الساعات الأولى من العدوان استيعاب الصدمة الأولى وانتزاع زمام المبادرة الإستراتيجية باستهدافها مراكز الثقل الاستراتيجي في تل أبيب والقدس وبئر السبع في اليوم الثاني للحرب،

فكانت هذه هي المفاجأة الإستراتيجية الأولى، تبعتها مفاجآت ميدانية بدأت بعمليات التسلل عبر البحر والساحل ووصولها قاعدة عسكرية برية بحرية في العمق الإسرائيلي، ثم القصف المؤثر لتل أبيب، وتحليق الطائرات المسيرة، والنجاح في مواجهة صواريخ القبة الحديدية، وإفشالها في كثير من الحالات – بلغت كفاءة القبة الحديدة حسب المصادر الإسرائيلية ١٦٪ فقط –، ثم توالت المفاجآت الميدانية بالقدرة على تنفيذ عمليات ناجحة خلف خطوط العدو، ثم استدراج العدو لمواجهات برية قريبة وصفرية كبدته

خسائر كبيرة لم يعهدها من قبل- ١٦٣٦ جريح و٧٤ قتيلا من العسكريين كما سبقت الإشارة-، وهو ما يؤكد بأن إدارة المقاومة للمعركة والعمليات وكافة النشاطات الملازمة للحرب كانت على مستوى عال من التكامل والتنسيق المبرمج، كما أن الشعب في غزه حقق المفاجآت الأهم من حيث قدرته على استيعاب الألم والأحزان والدمار والتشرد وتوظيفها لتعزيز ودعم المقاومة"[١].

ساهم ذلك في رفع وتيرة الخطاب الإعلامي إلى سقف عالي يتناسب مع حقوق الشعب الفلسطيني وأولها حقه في الدفاع عن نفسه، إضافة إلى المهنية الإعلامية التي جسدها الإعلام الفلسطيني إلى جانب المعركة العسكرية الميدانية، وعمل ضمن سياسة مخطط لها أثناء العدوان "وأثبتت المقاومة أنها تعمل بإدارة وتخطيط موقوت بعيدٍ عن الارتجال أو الانفعال، حيث حافظت على ثبات أدائها ونجحت بتأسيس اتصال إيجابي ذي مصداقية مع الرأي العام الفلسطيني والإسرائيلي. وانعكس كلّ ذلك إيجاباً على الأداء الإعلامي المقاوم والمؤيد للمقاومة، والذي جاء مُكمِّلاً ومنسجماً مع الأداء الميداني، وحقق نتائج إيجابية على صعيد اختراق الرأي العام الإسرائيلي الذي فقد ثقته بإعلامه، وقد تجاوز الإعلام بتغطيته وانتشاره وتأثيره الإقليم ليصل إلى أنحاء مختلفة من العالم، واستقطب الاهتمام وردود الفعل الداعمة للمقاومة، وقد أثبتت المقاومة أن الإعلام والحرب النفسية جزء أساسي من خطتها في الحرب الأخيرة، وأنها تستخدمها بكفاءة وذكاء وبالشكل والحجم والكيف المناسب غالباً"[٢].

لقد امتاز الخطاب الإعلامي الفلسطيني في غالبية وسائل الإعلام وخاصة قناة الأقصى والقدس وفلسطين اليوم والمركز الفلسطيني للإعلام ووكالة شهاب و(ميكس معا) ووكالة معا الإخبارية وغيرها من الإذاعات والمواقع الإخبارية بأسلوب كان له وقع الصدى القوي على الجمهور الفلسطيني، وعلى وسائل إعلام العدو، حيث عملت على كشف جرائم الاحتلال ومجازره ولا أخلاقية في استهداف الأبرياء والمؤسسات المدنية وعلى مدار اليوم رغم استهداف البعض منها، واستندت في ذلك إلى توثيق الحدث

(١) العزوني، اسعد. الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة الخيارات الفلسطينية في ضوء إدارة الحرب ونتائجها، ٢٠١٤، http://pulpit.alwatanvoice.com/articles

(٢) المرجع نفسه، ٢٠١٤.

بالشهادات الحية وإبراز حجم الدمار، الذي تحدثه الآلة العسكرية الصهيونية وسقوط الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ والجرحى بسببها.

وكان لفضائية الأقصى دور مهم وبارز في النيل من معنويات الجبهة الداخلية لدولة الاحتلال وبطريقة مهنية أخلاقية "مستخدمة إستراتيجية حربية إعلامية من الطراز الأول من خلال بيانات القسام، وهي تحذير المدنيين الإسرائيليين من التجمع أو العودة لمنازلهم قبل إطلاق صواريخ المقاومة، وهذا ما وضحه أبو عبيدة الناطق باسم كتائب الشهيد عز الدين القسام، حينما حذر المدنيين الإسرائيليين من العودة لمنازلهم والبقاء بالقرب من الملاجئ، وعدم التجمهر، وكان المثير للمفاجأة أن تعطي المقاومة المهلة الكافية لهم من أجل تحذيرهم "[1].

إضافة إلى أنها وجهت خطابها إلى المجتمع الدولي؛ للضغط على الاحتلال وإظهار أن المقاومة هي من تبادر إلى مواجهة العدو، وكان نبأ اسر الجندي الإسرائيلي (شاؤل أرون)، والذي جاء كنوع من المفاجأة لحكومة الاحتلال وللجمهور الفلسطيني، الذي شعر بفرح كبير لقدرة المقاومة على المناورة، وصنع المعجزات في حرب كان يحسب الكثيرين أن إسرائيل ستحسمها لصالحها وبشكل سريع، لكن أسطورة هذا الجيش انكسرت أمام استعدادات المقاومة ومفاجأتها ، وراحت تفند ادعاءات الاحتلال وتكذب حكومته بأن الحرب قد حققت أهدافها، ونخص بالذكرهنا موضوع الأنفاق وعملية (نحال عوز) والإنزال البحري لكوماندوز المقاومة واعتراض القبة الحديدية للصواريخ الفلسطينية، وبعدها لم يعد يثق الشارع الإسرائيلي برواية حكومته وإعلامه، وتحدثت صحف الاحتلال وإعلامه عن ذلك معترفين أن سكان الجنوب باتوا لا يثقون بجيشهم بقدر ما يثقوا بأبي عبيدة (الناطق باسم كتائب عز الدين القسام)، الذي أربك العدو الصهيوني.

وهذا ما أكده (محمد أبو ثريا) مدير قناة الأقصى الفضائية ، الذي قال: "أن القناة أعدت الخطط للعمل في ظروف الحرب، الأمر الذي مكنها من استمرار العمل رغم قصف مقرها عدة مرات، وهذا ما فاجئ العدو الإسرائيلي" . في ذات الوقت لعب الإعلام الجديد دورا رئيسيا في تكوين رأي عام عالمي

(١)-قناة الجزيرة، http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeeraspecialprograms/2014/8/7،

مناصر لغزة، وظهر ذلك في الإقبال الشديد على (هاشتاغ غزة تحت القصف) الذي شهد ثمانية ملايين تغريده من بينها ٢٠٪ من أميركا، و(هاشتاغ) آخر لمحاكمة مجرمي الحرب في إسرائيل، كانت حصة بريطانيا ٣٠٪ من بين ثلاثة ملايين تغريده، في حين حصدت فتاه غزيه غطت الحي الذي تقطنه بالصور على ٢٠ مليون مشاهدة[١]..

وأكد الخطاب الإعلامي على وحدة الصف الفلسطيني، الذي تجلى في الوفد الفلسطيني الموحد لمفوضات القاهرة حول الهدنة وانسجامه مع مطالب المقاومة الميدانية على الأرض.

تقارب الخطاب الإعلامي في وسائل الإعلام الفلسطينية

في اليوم الثالث للحرب البرية بدأت إسرائيل تمتعض من قدرة المقاومة على المواجهة ومن مسافة صفر وتستغرب من القدرات القتالية العالية التي تمتلكها وبدأت تعترف بتكبدها خسائر بشرية وسط جنودها ،ما لم تعتاد علية في حروبها السابقة مع العرب ،ومع قدرة المقاومة على الصمود خرج أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر صحفي عقده في رام الله وقال فيه : "فشلنا في المفاوضات... وغزة تدافع حالياً عن المشروع الوطني الفلسطيني".وجاءت تصريحات الرئيس عباس لتؤكد أن تغييرا جوهريا حصل في موقف السلطة الوطنية حينما قال : على "الجميع التعاضد ونبذ الخلافات في هذه اللحظات العصيبة... والابتعاد عن الفصائلية الحزبية الضيقة".

استمر موقف القيادة الفلسطينية وخطابها الإعلامي في وسائل الإعلام الرسمية الموالية لحركة فتح والفتحاوية حذرا من الإشادة بالمقاومة وتماسكها وتلاحمها خشية الترويج لحركة حماس، مما كرس حقيقة واضحة بأن هيئة الإذاعة والتلفزيون تنازلت عن كونها هيئة رسمية، تعبر عن كل الفلسطينيين بتوجهاتهم وانتماءاتهم وأفكارهم السياسية، إلى ذراع إعلامية سليطة اللسان والانتقاد لمعارضي السلطة الوطنية وسياساتها، سواء كانوا شخصيات أو قيادات أو أحزاب اً وفصائل أو مؤسسات أو حتى دولاً، كما حدث

(١)مركز الزيتونة، قراءة في اداء السلطة الفلسطينية خلال حرب ٢٠١٤، وانعكاساته المستقبلية، ٢٠١٤، /http://www.alzaytouna.net

في مواجهة السلطة الفلسطينية لقيادات سياسية فتحاوية معارضة ومنتقدة لأداء مؤسسات السلطة الفلسطينية، أو قيادات حركة حماس السياسية والعسكرية[١].

ولكن حجم المجازر والدمار الذي حل بغزة وأهلها وسكوت العالم على جرائم الاحتلال دفع إلى التقاء المصالح بين القيادة في رام الله والمقاومة في غزة، فمصلحة حركة فتح في تسجيل انتصار سياسي ودبلوماسي في وقف العدوان، ومصلحة المقاومة في غزة أن تخرج منتصرة دون الاستجابة لشروط الاحتلال في سحب السلاح، وإفشال إسرائيل في تحقيق أهدافها من وراء العدوان المسمى "الجرف الصامد "وبالتالي خروجها منتصرة أمام الشعب الفلسطيني .

وبعد أن تم الاتفاق على تشكيل الوفد التفاوضي المشترك لكافة الفصائل والسلطة الوطنية الفلسطينية للتباحث في التوصل إلى هدنة مع الاحتلال، ومن ثم وقف العدوان، ونتيجة للتوافق الفلسطيني في مفاوضات القاهرة وافقت حركة حماس على منح الرئيس عباس حق الإعلان عن التهدئة، ووقف العدوان .وبالفعل في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ أغسطس، وبعد مضي ٥١ يوم على العدوان أعلن الرئيس محمود عباس أن التهدئة ستدخل حيز التنفيذ في تمام الساعة السابعة، وأثناء حديث الرئيس أبو مازن أطلقت المقاومة رشقه من الصواريخ للتأكيد على أنها صاحبة المبادرة، وأن قدراتها الصاروخية ظلت على حالها فقتلت جنديين إسرائيليين .

وكان خطاب فضائية فلسطين والصحف المركزية في رام الله وبعض الوكالات المحسوبة على السلطة الفلسطينية وحركة فتح يركز على الدور البارز للرئيس الفلسطيني محمود عباس وقدرته وحنكته السياسية في كسب التأييد الإقليمي والدولي مع تغييب نسبي لدور المقاومة، مؤكدين بذلك أن الانقسام والصراع لا زال قائما بين الحركتين.

و لفضائيتي فلسطين والأقصى دورا هاما في إبراز مستوى التطرف والعداء بين الحركتين، حيث يقول العالم الفرنسي بيير بورديو في هذا السياق حول دور التلفزيون : "هناك سلسلة من الآليات التي تثبت

(١) حمدان، منتصر، دور الاعلام في تعزيز الانقسام (فضائيتا فلسطين والأقصى نموذجا)، المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الاعلامية، ٢٠١٢، ص٥٣.

أن التلفزيون يمارس نوعا من العنف الرمزي "،[1] المفسد والمؤذي بشكل خاص، وبدت كل قناة تسير في اتجاه يعكس مواقفها.

المبحث الثالث
الخطاب الإعلامي الفلسطيني مع إعلان الهدنة وتوقف العدوان

مع إعلان الهدنة بشكل رسمي وتوقف العدوان عادت الكثير من وسائل الإعلام في الضفة الغربية إلى دورتها البرامجية الاعتيادية في اليوم التالي للحرب وكأن شيئا لم يحدث، في الوقت الذي بقينا نسمع أهات الثكالى والمعوقين والجرحى والمشردين، وتخصيص مساحات من البث في نشرات الأخبار لتداعيات العدوان، مما يشير إلى غياب التضامن الإعلامي، وبالتالي تشرذم الخطاب الإعلامي وعودته إلى التوتير والتراشق إلى سابقه، بل وصل لحظة كتابة هذه الكلمات بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٥ أوجه بعد توجيه الاتهامات من قبل الطرفين المتخاصمين (الأعداء سياسيا)إلى بعضهما البعض بخصوص ملف المصالحة وملف الأمن والعلاقة مع مصر وصولا إلى أن فضائية فلسطين عرضت مستشار الرئيس محمود عباس للشؤون الدينية وزير الأوقاف سابقا محمود الهباش وهو يناشد العرب في خطبة الجمعة بمسجد الرئاسة (التشريفات) وأمام الرئيس قبل يوم من القمة العربية الأخيرة بضرب حركة حماس في غزة أسوى بالحوثيين في اليمن وقبلة بقليل كان الخلاف يحتدم والمؤسسات الإعلامية لكلا الطرفين تساهم فيه .

ورغم حجم الألم إلا أن التراشق الإعلامي بقي مستمراً، فقد وجهت فضائية فلسطين ما بعد العدوان سيلاً من الاتهامات لحماس تمثل في التساؤل عن الانجازات التي حققتها الحركة على الأرض؛ ليكشف ذلك عن الأزمة العميقة التي تعيشها القيادة الفلسطينية، وعدم قدرتها على تحقيق الوحدة الوطنية بأي مستوى ممكن بعيداً عن عقلية افتعال الأزمات لإرضاء الخارج برسائل على حساب الوضع الفلسطيني، وليطفو على سطح الساحة الغزية النائب محمد دحلان، وبما يمثله من ثقل تنظيمي في قطاع غزة؛ ليعكس حجم الخلاف داخل حركة فتح، والذي يعكسه سوء العلاقة ما بين دحلان والرئيس الفلسطيني محمود عباس .

(١) بورديو، بيير، التلفزيون واليات التلاعب بالعقول، دار كنعان للنشر، دمشق، ٢٠٠٤، ص٤٦.

لقد كان الخطاب الإعلامي الفلسطيني خلال العدوان لغالبية وسائل الإعلام الفلسطيني خطاباً معقداً ومتشعباً، وفي نفس الوقت ناجحا لمعركة خلفت ألاف الشهداء والجرحى والمشردين ، وتركت ورائها آثارا لا تمحى، فالحصار لم يرفع، وعملية الإعمار تواجه صعوبات كبيرة بسبب الاحتلال، ومعبر رفح الفلسطيني مغلق بسبب تحفظات جمهورية مصر العربية، والشعب ما زال صامدا ولكن الخطاب الإعلامي كما وصفه إسماعيل هنية نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) أنه مزج إبان معركة غزة بين الجانب المهني والجانب الوطني والمصداقية، وتجاوز "خطاب المظلومية والبكائيات".

وجراء تعارض الخطاب الإعلامي الرسمي الفلسطيني (فضائية فلسطين) مع الخطاب الإعلامي المقاوم الفلسطيني، عمل على إرباك العمل السياسي الفلسطيني وأضعاف قدرته على المناورة، ومحاولة ترجمة إنجازات المقاومة العسكرية إلى حصاد سياسي مثمر. وقد كان هناك اتهام وتراشق واضح في الأيام الأولى للحرب، ولكن شهد الأسبوع الثاني نوعاً من الهدوء في التراشق والاتهام في المشهد السياسي الفلسطيني، لقد كان الخطاب السياسي والإعلامي لفصائل المقاومة الفلسطينية ما بعد العدوان فئويا بامتياز بعيدا عن لغة الكل الفلسطيني مقابل التغني بالأنا، والميل إلى الاستعراض الإعلامي التحزبي . فكان واضحاً أن هناك هيمنة لحركة حماس في المشهد الإعلامي. صحيح أنها هي الفصيل الأكبر الذي خاض الحرب عدة وعتاد وطاقة بشرية، ولكن مع ذلك كان يفترض أن يسود خطاب الوحدة أكثر من الخطاب التفردي الاستعراضي.

يؤكد القيادي في حركة حماس والكاتب د.احمد يوسف في مقال بعنوان "استراتيجيات ما بعد الحرب على قطاع غزة:حماس والحاجة إلى مقاربات سياسية وأيدولوجية جديدة"، أن بناء نظام سياسي قائم على منطق الشراكة السياسية والتوافق الوطني هو طوق النجاة لنا جميعاً، وأن الذي ينظر إلى عملنا الوطني ويفكر فيه بأسلوب التفرد والمغالبة هو يعيش في حالة حالمة تأخذه وتأخذنا معه باتجاه المجهول، لتضيع شوكتنا وتذهب ريحنا، ونكون بذلك لقمة سائغة تنهشنا ذئاب الاحتلال وأنياب غلاة مستوطنيه.

ولعل إنهاء الانقسام وانجاز المصالحة الحقيقية قد يشكل عامل حاسم في توحيد الخطاب الإعلامي اتجاه صراعنا مع المحتل، ويفتح آفاق جديدة لتحقيق المزيد من الانتصارات الإعلامية إلى جانب نضالات شعبنا

الفلسطيني من اجل استرداد حقوقه المشروعة، وبالإمكان تحقيق ذلك من خلال الاحتكام إلى مبدأ الشراكة السياسية القائمة على الاحتكام لصندوق الاقتراع .

النتائج :

١- لعب الخطاب الإعلامي دورا جوهريا في صمود أهل غزة رغم فاجعة العدوان وحافظ على تماسك أهلها.

٢- ظلت إفرازات الانقسام حاضرة على شاشة فضائية فلسطين وفضائية الأقصى وغيرها أثناء العدوان.

٣- غياب الخطاب الإعلامي الموحد وقت الحرب كان له تداعيات سلبية على الساحة السياسية الفلسطينية وعلى الرأي العام الفلسطيني .

٤- عزوف المواطن الفلسطيني نسبيا عن القنوات التي مالت إلى الاعتدال في التغطية وتوجها إلى الإعلام المقاوم .

٥- لعبت فضائيتا الأقصى وفلسطين وغيرها من المؤسسات الإعلامية التابعة للحركتين المتخاصمتين دورا كبيرا في تعزيز الانقسام.

٦- بدا الخطاب الإعلامي أكثر نضجا ومهنية في التعاطي مع العدوان على عكس الحروب السابقة.

٧- نجاح فضائية الأقصى في الاستحواذ على الاهتمام الجماهيري لما يدور في أرض المعركة عبر بثها المواد المصورة لإنجازات المقاومة .

٨- لأول مرة أصبح الإعلام المقاوم مصدرا للمعلومة الميدانية لدى الإعلام الإسرائيلي وجمهوره .

التوصيات

١- ضرورة تحييد وسائل الإعلام بعيدا عن الخلافات والمناكفات السياسية .

٢- وضع إستراتيجية إعلامية موحدة تجمع الكل الفلسطيني ولا تحيد عن الثوابت الوطنية .

٣- تحلي الخطاب الإعلامي الفلسطيني بالمصداقية والانحياز للمصلحة الوطنية .

٤- توظيف مفردات إعلامية تخدم القضية الفلسطينية وتوحد الشعب الفلسطيني خلف المقاومة بكل أشكالها.

٥- ان يحتوي الخطاب الإعلامي على ثقافة التعددية والابتعاد عن نشر ثقافة الإقصاء.

٦- العمل على إنهاء الانقسام من خلال نشر ثقافة الحوار والتصالح والوئام والسلم الأهلي.

٧- التحلي بروح الخلق الحميد والابتعاد عن التخوين والتكفير وعدم زج الدين في الصراعات السياسية بين القوى والأحزاب الفلسطينية.

٨- العمل ضمن خطط مسبقة لتجاوز الأزمات والعمل في الظروف الاستثنائية.

قائمة المصادر

١. أبو شنب، حسين. **الإعلام الفلسطيني في ضوء المتغيرات السياسية والتكنولوجية (واقعه، تحدياته، مستقبله.)**الحياة الجديدة. الجمعة ١٤ آذار (١٣ جمادى الأولى) ٢٠١٤ العدد٦٥٩٠.

٢. المركز العربي للأبحاث والدراسات. **العدوان الاسرائيلي الجديد على غزة، وحدة تحليل السياسات**، ٢٠١٤.

٣. بورديو، بيير. **التلفزيون واليات التلاعب بالعقول**، دار كنعان للنشر، دمشق، ٢٠٠٤

٤. حمدان، منتصر، **دور الاعلام في تعزيز الانقسام (فضائيتا فلسطين والأقصى نموذجا)**، المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الاعلامية، ٢٠١٢.

٥. عبد الحليم موساوي. **الوطن العربي والتحولات الديمقراطية "دراسة التعاطي مع الثورات العربية"**، مجلة دراسات وأبحاث، مركز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٢

٦. عودة، كفاح. **أحداث حزيران ٢٠٠٧ في قطاع غزة وتأثيرها على المشروع الوطني "استراتيجيا وتكتيكيا"**، جامعة النجاح، رسالة ماجستير منشورة، ٢٠٠٩

٧. شهاب، محمد. **الاعلام المقاوم ودوره في القضية الفلسطينية**، مؤسسة انماء، ٢٠١٢

٨. محسن، أنيس. **غزة معركة بحجم الحرب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، ٢٠١٤

٩. مهدي، محمد. **واقع العربية في الخطاب الاعلامي المعاصر**، الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

المواقع الإلكترونية

١. مركز الزيتونة، **قراءة في أداء السلطة الفلسطينية خلال حرب غزة ٢٠١٤ وانعكاساته المستقبلية**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤، http://www.alzaytouna.net/permalink

٢. العربي الجديد، نتنياهو يؤجج مشاعر الانتقام وإعلام إسرائيل يروّج للدم، موقع العربي الجديد، لندن، ٢٠١٤، http://www.alaraby.co.uk/politics

٣. أبو شيخة، طاهر. **الحرب على غزة- مأساة واحدة وتغطية إعلامية متضاربة**، ٢٠١٠، http://www.masrawysat.com

٤. فارس، عوني. **الخطاب الإعلامي لصحيفة القدس خلال الحرب على غزة**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٩، http://www.palestine-studies.org/

٥. معا، اتجاهات أراء الفلسطينيين، ٢٠١٤، https://www.maannews.net/

٦. خالد، تيسير، **تصريحات مندوب فلسطين في جنيف صادمة ولا تمثل المنظمة**، دنيا الوطن، ٢٠١٤، http://www.alwatanvoice.com

٧. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، **يوميات الصراع العربي – الاسرائيلي**، ٢٠١٤، http://www.palestine-studies.org/

٨. وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية، **يوميات الحرب على قطاع غزة**، ٢٠١٤، http://www.wafa.ps/

٩. مركز الزيتونة، **قراءة في أداء السلطة الفلسطينية خلال حرب غزة ٢٠١٤ وانعكاساته المستقبلية**، ٢٠١٤، **http://www.alzaytouna.net/**

١٠. وكالة نبأ، **تصريح أمين مقبول**،٢٠١٤ http://www.naba.ps/

١١. العزوني، اسعد. **الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة الخيارات الفلسطينية في ضوء إدارة الحرب ونتائجها** ٢٠١٤ http://pulpit.alwatanvoice.com/articles

١٢. قناة الجزيرة، الحرب على قطاع غزة، http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeeraspecialprograms، ٢٠١٤.

١٣. مركز الزيتونة، **قراءة في اداء السلطة الفلسطينية خلال حرب ٢٠١٤**، وانعكاساته المستقبلية، ٢٠١٤، http://www.alzaytouna.net/